

المخدرات وأثارها السلبية على جسم الإنسان

الأستاذ عبد العالي حمدي
إمام أستاذ بولاية تمنراست

ودينه، المهم التقدم سواء إلى الأفضل أو غير الأفضل، وباتت البشرية تترقب ماذا سيأتي بعد الغد من مفاجآت وأخذت تلتفت ذات اليمين وذات الشمال، حتى وجد الناس أنفسهم في وسط من ركام التناقضات، وهذا الكلام ليس استخفافا بما اكتشفه العقل البشري في جميع المجالات وإنما هو دعوة إلى جعل العقل والعلم يقفان على أعمدتهما الصحيحة المتينة دعوة إلى رفض أشلاء الحضارة التي تلحق بالعلم تعثرات وهزات لا قبل له بمقوماتها دعوة إلى تطبيق نتائج العلم التي تخدم الإنسان لوقيته وإنقاذه مما قد يصاب به في جسمه أو عقله أو ماله أو واقعه.

إننا نرى من الناس من يستيقظ ويسعى ليتعلق بطرف جبل النجاة مستغيثا بربان السفينة أن يمهله رويدا ومن الناس من

إن هذا الموضوع هو من أعقد المواضيع الجديرة بالتبيان والدراسة في حياة الإنسان ألا وهو موضوع المخدرات الذي ارتمى في أحضان الصغیر والكبير المرأة والرجل بعلم أو بغير علم لمضاره ومخلفاته الخطيرة على مستوى صحة الإنسان وعقله وجسمه وعلى ماله ودينه وعرضه وعلى مستوى جميع مصالحه التي ينبغي له حفظها وعدم المساس بها، فالعالم اليوم يتطور ويتقدم وفي الوقت نفسه يحمل هذا التطور في طياته بذور التخلف والتدهور فمتى تغلب أحدهما على الآخر كان له القول الفصل في تحديد اتجاهات العالم، إلا أن التقدم حاليا أصبح حديث الناس وأصبح البحث عن اكتشاف شيء جديد يشغل بال الجميع. ولكن دون مراعاة ما هو أصلح للإنسان فيه من جهة عقله وفكره

جميعا إن لم يوضع لها حد وخصوصا أن هناك من يزعم زعما باطلا أن الأديان بما في ذلك الإسلام لم يحرم المخدرات ولم ينهاه عن استعمالها، ولقد تربع الإسلام على رأس كل التشريعات الاجتماعية والنظريات الوضعية بما قدمه من تشريع في هذا المجال سواء في قواعد الوقاية من هذه الآفة وغيرها، والإسلام يدعو ويعمل إلى الوقاية مما يضر أو يسيء إلى الإنسان بل ولم يترك ثغرة للأمراض النفسية أو الاجتماعية أو الجسمية لتجد الثغرة المناسبة طريقا إلى الإنسان مما يؤدي إلى صعوبة العلاج.

و في الإسلام قواعد في قمة الوقاية الطبية وإن أحد هذه الموضوعات التي تناولها الإسلام في طبه الوقائي - موضوع المخدرات - وسأحاول تبين مخاطره على الإنسان وتبقى الجوانب الطبية والأمنية ولكل هذه الجوانب رجالها والله المستعان.

تعريف المخدرات: تعرف المخدرات بأنها من السموم وتعرف عليها الإنسان عبر العصور الماضية عندما اكتشف بعض الخصائص في مجموعة من النباتات كالخشخاش والقنب الهندي حيث وجد فيها ما يزعم أنه يخفف عنه آلامه أو وجد فيهما ما يثير نشوته.

يتناحس زعما منه أنه ليس في الإمكان الخروج مما هو عليه فيسرع وراء الأشياء التي تفقده الشعور والإحساس بواقعه الذي أوقع نفسه فيه وهذا الإنسان يصير غرفه محتوما ويصبح إنقاذه صعبا وعندئذ يصير شرا على نفسه وعلى غيره، ولكن هذا لا ينفي حتما الأمل في انتصار قوى الخير على قوى الشر حينما يكون الربان بارعا في إخراج سفينته من وسط الأمواج المتلاطمة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وبهذا الأمل تعود الحياة الخيرة تضيء بنورها على العالم الآخر عالم الإنسانية الحقيقية عالم مبني على قواعد لا تتزعزع من العواطف ولا تتآكل بفعل الزواحف.

هكذا نتصور مجتمعنا كيف يغط في مناهي الله سبحانه ومحرماته ومن مناهيه طبعاً الاقتراب من المخدرات أقول الاقتراب قبل التعاطي والاقتراب من المخدرات من بين الكبائر والرذائل التي تنتهي بالإنسان إلى الهاوية لأن المخدرات آفة تقتل ببطء، تقتل الفضيلة وتحيي الرذيلة تغتال الضمير وتأتي على الجسد فتهلكه وتفتك به وكل ذلك في تأن وتوأدة بين أحضان النشوة المتوهمة ولذلك فلقد رأيت أن أساهم بما نراه إيجابيا في بيان المخاطر التي تترصدنا

والمخدرات نوعان:

- مخدرات طبيعية
- ومخدرات اصطناعية.

المخدرات كما سبق إلى مخدرات طبيعية وأخرى اصطناعية والمخدرات الطبيعية المتداولة في البلاد العربية.

أ- الأفيون: ويستخرج الأفيون من نبات الخشخاش الذي يزرع في عدة مناطق من العالم ويشمل على مواد ملونة ومواد مهيجة وتأتي أغلبية إنتاج الأفيون من دول آسيا والصين وباكستان وأفغانستان وإيران وتايلاندا ويستهلك معظمه في مناطق الإنتاج كما يصدر جزء منه إلى الدول الأخرى عن طريق منظمات خاصة متخصصة في تهريب المخدرات، ويستعمل هذا المخدر مثل القهوة بالاستحلاب.

- بطريق التبلع أو الحقن بعد إذابته في الماء الدافئ.

- بطريق التدخين.

ويؤدي استعماله إلى مضاعفات تفصيلها يرجع إلى الأطباء.

ب- الكوكايين: ويستخرج من شجرة الكوكا الموجودة في بعض المناطق المرتفعة بأمريكا الجنوبية ويستهلك كالأفيون في مناطق إنتاجه والباقي يصدر إلى أمريكا الشمالية التي يجد فيها سوقا رائجة حيث

ويشكل حيازة المخدرات أو صنعها أو تسويقها أو حملها أو تناولها يشكل جريمة يعاقب عليها القانون في جل دول العالم إن لم نقل كلها، ولكن مع هذا التشريع المضيف في استعمالها فقد انتشرت انتشارا واسعا سواء في دول العالم الغربي أو غيره حتى العالم الإسلامي الذي لم تنج دولة من تبعات هذه الآفة رغم ما يربطها من رباط عقائدي سلوكي وروحي ويرجع هذا الانتشار إلى سببين اثنين:

أ- أن المخدرات تشكل موردا ماليا ضخما، وبعبارة أخرى المخدرات شيء خفيف الوزن غالي الثمن.

ب - سهولة إخفائها عند تهريبها وكثرة الطلب عليها لذلك أصبح تهريب المخدرات الشغل الشاغل للشرطة الدولية والجمارك في كل دول العالم بعد أن أصبحت المخدرات من أخطر الأمراض التي تأكل جسم المجتمع الإنساني وتهدد كيانه بالأمراض والأوجاع المختلفة.

أنواع المخدرات وأثارها: تنقسم

وهو من علماء منظمة الصحة العالمية الأعراض المرضية للقات في تقريره الذي رفعه لمنظمة الصحة العالمية: - وجاء فيه أن مضغ القات يترك آثارا طبية ونفسية خطيرة وهذه أشهر أنواع المخدرات الطبيعية في البلاد العربية.

عوامل إنتشار المخدرات: هناك عدة عوامل ساعدت في انتشار المخدرات عبر العالم - منها أن ظاهرة المخدرات بدأت في الانتشار مع بداية ظهور التنافس الأوروبي على إحتلال الدول الأخرى طمعا في الأموال حيث استغل الأوروبيون تلك الأراضي المحتلة لإنتاج كل ما يكسبهم أموالا وثراء ولو كان ذلك المنتج مضرًا بالإنسانية، وعملت تلك الدول المختلفة على زراعة المخدرات في مناطق واسعة من العالم ولعل أوسع وأكبر مزرعة في هذا المجال تلك التي أقيمت في منطقة الهند الصينية.

وقد قال أحد الكتاب: - إن التجارة وأطماع المال قادت أكثر الحروب التاريخية خزيا وظلما في الشرق الأقصى تلك هي (حروب الأفيون) الحرب المعروفة ففي عام 1796 شنت حكومة الصين تشريعا ينقذ شعبها من الأفيون ويحرم على الناس

أن هناك وسائل إعلام خاصة بالإشهار لهذا المخدر وطرق استحضاره وطرق إنتاجه.

ج - القنب: وله أصناف متعددة أشهرها القنب الهندي نسبة إلى الهند التي يكثر فيها ويعرف أيضا في شمال إفريقيا بالكيف ويعرف في نصف الكرة الغربي باسم مار جوانا وفي بعض البلدان العربية يسمى الحشيشة ويستعمل بطرق التدخين والبلع في شكل مادة صلبة أو مسحوقة وهو مادة متميزة وفريدة حيث له قابلية للاثبات في كل مكان من العالم والدول المشهورة بإنتاجه بعد الهند هي: المغرب ولبنان وأمريكا الجنوبية والوسطى وباكستان وأفغانستان وتمول هذه الدول مستعمليه في الأقطار المختلفة زيادة على استهلاكها المحلي. ومضاعفاته على صحة الإنسان خطيرة.

د- القات: ويزرع في اليمن والصومال ويستهلك محليا أي في اليمن والصومال ويتعاطها الإنسان عن طريق المضغ البطيء الطويل في أوقات معينة ويقبل عليه أهل اليمن بشغف كبير، وقد ثبت طبيا أن القات مضر بالصحة لاحتوائه على مادة القاتين المخدرة، وأكد الدكتور هالباج

و من جهة أخرى تولد واقع اجتماعي متناقض في كثير من الحالات جعلت الإنسان يهرب من الواقع الذي تسبب فيه من قريب أو من بعيد يتناول ما يلهه من ذلك الواقع.

- وهناك أيضا أباء يتعاطون المخدرات أمام أبنائهم وهذا التصرف جعل الأبناء ضحية آبائهم ومجتمعهم فأغلبهم كما يقول المربون يتناولون المخدرات لأن آبائهم يتناولونها أمامهم.

وحسب رجال الشرطة الذين يقومون بتحقيقات حول المخدرات فإن علاقة الأطفال بالمخدرات تبدأ عند قيامهم ببيع المخدرات لتحسين مدخولهم الأسري.

كما أن التحكم في علوم الكيمياء ساعد على إنتاج المخدرات الاصطناعية كما جاء في دراسة للمكتب العربي الدولي لشؤون المخدرات.

والملاحظ أنه رغم السعي الذي قامت به أوروبا لتوسيع مزارع المخدرات في آسيا فقد حاولت حصر استهلاكه في مكان الإنتاج إلا أن المخدرات شهدت توسعا حتى في أوروبا وكانت بداية

تعاطيه والاتجار فيه وكان هذا الأخير تجارة رابحة تصدرها دول أوروبا إلى الصين.

وفي عام 1839 صادرت حكومة الصين عشرين ألف صندوق من الأفيون مهربة من بريطانيا وعند ذلك وقعت الواقعة وتحركت عندها المملكة العظمى لتدافع عن تجارتها الرابحة في تلك الدول وترحف الأساطيل وتجهز الجيوش لتضرب الصين وتحتل جزيرة هونغ كونج وتنتعش بعد ذلك شركات بيع المخدرات البريطانية بفضل حرب الأفيون وعند هذا النصر سال لعاب الدول الأخرى حيث لم تبق مكتوفة الأيدي مما كاد أن يكون عائقا في تجارتها للمخدرات، كذلك كان لبريطانيا دور في زراعة - القات - ورواجه في اليمن وانتشاره بين الناس هؤلاء الذين وجدوه سهل الاقتناء عندما امتنعت بريطانيا من استيراده بعدما وجدت الأفضل من هذه المادة المتمثل في المخدرات الأخرى.

- كذلك ما كان لظاهرة المخدرات أن تنتشر لولا وجود عامل آخر هو ظاهرة تردي الوازع الديني وضعف الإيمان بالله سبحانه حيناً، وانعدامه حيناً آخر هذا من جهة.

فشل مكافحة المخدرات: ويرجع فشل مكافحة المخدرات وانتشارها رغم توصيد طرق توصيلها إلى الدول والمجتمعات الإنسانية إلى التسهيلات التي تمنحها بعض الدول لمورديها أو مصدريها أو بغض النظر عن بعض الأعمال التي يقوم بها المهربون إما لكون هؤلاء من رجال الأعمال والصناعة أو من الدبلوماسيين وكل ذلك له انعكاس خطير على انتشار المخدرات سيظل يهدد المجتمع الإنساني، ولعل الجانب الخطير في المشكلة هو انتشار المخدرات في الوسط المدرسي وتعاطي هذه السموم بسرية لم يتفطن إليها الأولياء ورجال التربية وهذا ما يستدعي التوعية اللازمة من أجل إلمام التلاميذ بمخاطر المخدرات، فأطفالنا أكبادنا تمشي على الأرض.

حكم الإسلام في المخدرات: أجمع فقهاء الإسلام على حرمة المخدرات، وأفتى الفقهاء الذين ظهرت في عهدهم هذه الآفة وبينوا آثارها السيئة على الإنسان وبيئته ونسله وعرفوا أنها تفوق الخمر في الضرر الذي حرّمته النصوص الصريحة الواضحة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. فقرر العلماء حرمتها وقرروا العقوبة

دخول المخدرات إلى أوروبا الغربية حسب الخبراء سنة 1960 وهو العام الذي كان بداية هجرة اليد العاملة من تركيا إلى أوروبا هؤلاء المصطحبين معهم ما يمكن حمله من المواد المخدرة التي تزرع في أوطانهم.

و مع هذا فلا ينفي أحد أن استعمال المخدرات في أوروبا لم تكن من قبل هذا الظهور وهذا التاريخ ولكن كان بين طبقات اجتماعية معينة ومحدودة.

مكافحة المخدرات: إن انتشار المخدرات بشكل واسع يثير الدهشة بحيث يمكن القول أنه لا يوجد أي بلد لم تلفحه بسمومها، وخطورة المخدرات متضحة للعيان على المجتمع الإنساني، ولعل الإحصاءات السنوية التي تجريها المصالح المختصة تبين لنا بكل وضوح أن ضحايا المخدرات في ازدياد مستمر، وواجب الجميع القيام بعمل شيء تجاه هذه الآفة، إن لم يمكن القضاء عليها ومكافحتها والحد من انتشارها، وكل ذلك يرجع إلى يقظة رجال الجمارك والشرطة اللذان يسهران على متابعة مورديها بالعقوبات القاسية والرادعة على نشرها في المجتمع.

المخدرات حيث أن هناك من يقول بأن الحشيشة وما شابهها لم يحرمها القرآن ولم تحرمها السنة المطهرة أو لم يرد عن الأئمة الأوائل شيء في تحريمها فهؤلاء ومن يقول مثل قولهم هم من الذين يفترون على الله الكذب أو هم من الذين يقولون على الله بغير علم ومن الذين يعملون على إفساد المجتمع الإنساني كما يقول فضيلة العلامة الإمام الأكبر محمود شلتوت شيخ الأزهر: أنهم من الذين يعملون على إفساد المجتمع الإسلامي عن طريق دس السم.

1- قال الإمام ابن تيمية: إن الحشيشة حرام يحد متناولها كما يحد شارب الخمر وقال عنها "هذه الحشيشة الملعونة تشتمل على ضرر في دين المرء وعقله وخلقه وطبعه، وتفسد الأمزجة حتى جعلت خلقا كبيرا مجانين، وتورث مهانة آكلها ودناءة نفسه وغير ذلك ما لا تورث الخمر ففيها من المفساد ما ليس في الخمر فهي أولى بالتحريم.

2- وقال الإمام ابن حجر العسقلاني: إن من قال إن الحشيشة لا تسكر وإنما هي مخدر مكابر فإنها تحدث ما تحدثه الخمر من النشوة والطرب " ومن هنا يتبين إن الإسلام حرم تعاطي الحشيش على أي

على تناولها كما قرروا حرمة الاتجار بها وعقوبة المتجرين وقرروا أن استحلالها كاستحلال الخمر وقد جاء في كتبهم أنه يحرم أكل البنج والحشيش والأفيون لأنها مفسدة للعقل وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ويجب تعزير آكلها بما يردعه - وقال ابن تيمية: إن فيها من المفساد ما ليس في الخمر فهي أولى بالتحريم ومن استحلها وزعم أنها حلال فانه يستتاب فان تاب وإلا قتل مرتدا لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وقال تلميذه ابن قيم الجوزية: يدخل في الخمر كل مسكر مائعا كان أو جامدا عصيرا أو مطبوخا ثم قال واللقمة الملعون لقمة الفسق والفجور التي تحرك القلب الساكن إلى أخبت الأماكن ويعني باللقمة الملعونة الحشيش هذه اللقمة التي تذهب بنخوة الرجال وبالمعاني الفاضلة في الإنسان وتجعله غير وفي إذا عاهد وغير أمين إذا أوعد وغير صادق إذا حدث ثُميت فيه الشعور بالمسؤولية والشعور بالكرامات ويصبح بذلك عضوا غير صالح في المجتمع الفاضل بل عضوا فاسدا، ومن أوجب الواجبات العمل على رده ووقاية المجتمع من شره وفساده.

- وهناك انحراف آخر في حكم

أو اعتدى عليها يكون حراما، ويضاف إلى هذا الأضرار الاجتماعية التي تنشأ عن إدمان الحشيش مما يوجب تحريمه ومقاومته.

نقترح لعلاج إنتشار المخدرات مايلي:

1- يجب إزالة الوهم الشائع عند كثير من العامة وهو أن الحشيش وغيره من المخدرات ليسو بحرام فقد قامت الأدلة من القرآن والسنة وأقوال الفقهاء على تحريمه ولا بد من إثارة الوعي الديني الصحيح فيما يتعلق بالمخدرات.

2- تشديد العقوبة على المتجرين في هذه المخدرات والضرب على أيديهم بحزم وصرامة.

3- إحكام الرقابة على المنافذ والثغرات التي تتسرب منها المخدرات (الحدود) وكذا أماكن زرعها بالداخل.

4- مقاومة هذا المخدر في منبته وبيئته التي يصدر منها وقد بات معروفا عن بعض البلدان إنتاج المخدرات وتصديرها للبيع في أماكن أخرى.

5- يجب القيام بحملة واسعة النطاق ومنظمة الخطوات لإطلاع طبقات الأمة

وضع من الأوضاع وقال إنها من كبائر الذنوب.

3- تحريم الحشيش بالنص أيضا فقد روى الإمام الجليل أحمد بن حنبل رحمه الله في مسنده أن النبي ﷺ نهى عن كل مسكر ومقتر.

4- عند الحنفية يحرم أكل الحشيش والبنج والأفيون لأنها مفسدة للعقل وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ويجب تعزيز آكلها بما يردعه.

قال الدكتور أحمد الشرباصي رحمه الله:

5- هناك آيات يستدل بها على حرمة أكل الحشيش وغيره من المخدرات.

أ - ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

ب - قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والفاحشة بمعناها العام هي الإتيان بعمل يستقبحه العقل، وينفر منه الذوق، ويظهر فيه الشطط والخروج عن طريق الاعتدال ولا شك أن تعاطي الحشيش يدخل ضمن هذا الإطار، وسر التحريم كما يتبين مما سبق هو أن الحشيش مضر للصحة والعقل والمال وهذه الجهات الثلاث نعم إلهية كبرى فكل ما أفسدها

السابعة من الهجرة حينما ظهرت دولة التتار، ثم يقول وإذا كانت قواعد التشريع في الإسلام معروفة وأن تحريم الخمر ليس تعبديا وإنما كان محرما لما فيه من الضرر كانت تلك المواد ولاشك محرمة في نظر الإسلام وكان تحريمها من نوع تحريم الخمر إن لم يكن أشد. إهـ

الخاتمة:

وفي الأخير نقول أن المخدرات رجس من عمل الشيطان تقضي على الإنسان من حيث لم يشعر كما قال القائل:

يقضى على المرء في أيام محنته

حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

فتقضي عليه المخدرات من حيث لا يعلم لأنه يراها مسكنة لأوجاعه ومهدئة لأعصابه ومجلبة لسعادته وهي بالعكس عدوه القاتل الفتاك.

فتقضي على ماله وتقضي على علاقاته الاجتماعية ويصير بعيدا عن الناس وغير اجتماعي يصول ويجول وغير إرادي في تصرفاته بحثا عنها لتهدّي من قلقه.

والمخدرات وحرب الأفيون: نقول أنها مازالت مستمرة رغم أنها بدأت

على المضار الصحية والمادية ويشارك في هذه الحملة العلماء والأطباء، ورجال الاجتماع كذلك المسجد والمدرسة والصحافة والإذاعة وغيرها من وسائل الدعاية والإعلام والتوجيه.

6- الإسراع بإنشاء المصحات التي يعالج فيها ضحايا المخدرات لأن هؤلاء قد أصبحوا مرضى وقد تحكم فيهم الداء فيجب أن يجدوا حكيمة العلاج وناجع الدواء ويجب أن نعلم أن هؤلاء المدمنين هم أحرص الناس على تطلب هذا المخدر والبحث عنه ودفع الثمن فيها مهما كان مرتفعا فإذا عولجوا نكون قد قضينا على الجانب المهم في تعاطي هذا الوباء الفتاك.

وبذلك تكون جريمتهم مضاعفة جريمة إفساد المجتمع وجريمة الاقتراء على الله وجريمة استخدام الدين في الشهوات والهوى وإفساد المسلمين، ثم يقول فضيلة الإمام الأكبر: نعم لم يرد في القرآن ولا في أقوال الرسول ﷺ ولا في أقوال الأئمة المتقدمين شيء خاص بتلك المواد لا في حليتها ولا في حرمتها، لأنها لم تكن معروفة في زمنهم وإنما ظهرت كما قال ابن تيمية فيما بين المائة السادسة والمائة

وكانت بالصين إلا أنها اليوم وفي عصر
العولمة والإعلام حيث أصبح العالم كالقرية
الواحدة تخطى شرها إلينا فهذه الحرب هي
معلنة أمامنا وليس أمام الجميع إلا خوضها
فإن جنح أهل المخدرات وأهل تجارتها
إلى ترويجها فما على أولى الأمر والأمن

إلا أن يجنحوا إلى محاربتها - فإن جنحوا
للحرب فاجنح لها حتى تحفظ الأمة
من ويلاتها لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا
يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال: ٢٤.

